سورة يوسف (عليه السلام)

دراسة صوتية

أسامة عبد الغفور
كلية التربية . جامعة كربلاء

بسم الله الرحمن الرحيم
(إنّا أَنزَلناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُم تَعقِلُون)
سورة يوسف الآية 2

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد المبعوث رحمة للعالمين بكتاب عربي مبين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وسار على منهجه إلى يوم الدين.

أما بعد..

فهذا البحث الموسوم بـ(سورة يوسف عليه السلام دراسة صوتية) يتناول ظواهر صوتية بارزة في اللسان العربي وهي الفتح والإمالة والروم والإشمام والمد والقصر.

وقد اخترت هذه الظواهر الصوتية لشيوعها ولأهميتها ولاختلافها في القراءات القرآنية واللسان العربي، ولندرة مواضعها كماً في الروم والإشمام، مما جعلني أسعى للبحث فيها ودراستها بدقة وللوقوف عند هذه الظواهر.

وأخيراً، فهذا البحث هو ثمرة جهدي وصبري، فأرجو أن أكون قد وفّقت فيه، داعياً الله عز وجل أن يتقبله مني إنه هو السميع العليم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(سبب نزول السورة ومناسبتها لما قبلها)

جاء في التفسير الكبير للفخر الرازي وتفسير الخازن وتفسير روح المعاني وتفسير المراغي في سبب نزول السورة الكريمة ما يأتي:

1. أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين، سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وما قصتهم، فأنزل الله تعالى هذه السورة.
2. أن اليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر يعقوب وولده يوسف عليهما السلام فنزلت السورة الكريمة.

3. أما مناسبتها لما سبقها من سورة (هود) عليه السلام فهي لأنها متممة لما فيها من قصص الرسل والاستدلال بذلك على كون القرآن وحياً من عند الله عز وجل، دالاً على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والفرق بينهما واضح، ذلك أن السورة السابقة تحوي قصص الرسل وأقوامهم وعاقبة من آمن بهم ومن كذّبهم لإنذار مشركي مكة ومن تبعهم من العرب، أما هذه السورة فهي خاصة بالنبي يوسف عليه السلام منذ طفولته حتى وفاته، فقد كان خير قدوة للناس في حياته, و رسالته, وتصريف الدولة على أحسن ما وصل إليه العقل البشري، ومن أعظم ذلك شأنه مع أبيه وأخوته آل بيت النبوة، وكان من حكمة الله أن يجمعها في سورة واحدة، ومن ثم كانت أطول قصة في القرآن الكريم.

ومن الظواهر الصوتية البارزة في سورة (يوسف) عليه السلام ظاهرة الفتح, والإمالة, و ظاهرة الروم, والإشمام، والقصر.

أما ظاهرتا الفتح والإمالة، فالفتح لغة: جاء في القاموس المحيط فَتَحَ كمَنَحَ ضد أغلقَ[1].

والفتح اصطلاحاً: عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف، لا فتح الحرف، إذ الألف لا تقبل الحركة، ويقال له التفخيم[2].

والإمالة لغة: هي الانحراف والعدول عن الشيء[3] ، والإمالة اصطلاحاً هي: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيراً وهي المحضة أو الكبرى ويقال لها أيضاً الإضجاع والبطح[4].

فائدة الإمالة: قال صاحب النشر: (وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل، والله أعلم).

أسباب الإمالة

1. الكسرة.
2. ما أميل ليدلّ على أصله.
3. الإمالة للإمالة[5].

---

(1) القاموس المحيط مادة (فتح) 323/1.

(2) ينظر: الكشف 80/1 ، الحجة 173/1.

(3) لسان العرب / مادة (مَيَلَ) 636/11-639.

(4) ينظر: الإقناع 268/1-269.

(5) الكشف 170/1 ، النشر 33/2.

وقد جاءت الإمالة في سورة يوسف عليه السلام في عدة مواضع منها: (يا بُشرَى[1] ، أَلَر[2] ، أَسَفَى[3] ، رُؤيَا[4] ، مُزجَاةٍ[5] ، رَأَى[6] ، فَتَاها[7] ، جاءَ[8]، ومنهم من فتحها[9]).

وقد حصل الفتح في قوله تعالى: (مَثوَاي[10] ، يَا أَسَفَى[11]).

فمثال السبب الأول: كلمة (القَهّار)[12].

ومثال السبب الثاني: كلمة (جَاءَ[13] ، شَاءَ[14]).

ومثال السب بالثالث: (رَأيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً[15]، لَولا أن رَأى[16] ، فَلَمّا رَأى قَمِيصَهُ[17]).

وعلة حصول إمالة السبب الأول أه لمّا وقعت الكسرة بعد الألف نحو الياء، لتقرب من لفظ الكسرة، لأن الياء من الكسر، ولكي يعمل اللسان عملاً واحداً مستقلاً، فذلك أخف من أن يعمل متصعداً بالفتحة والألف ثم يهبط مستقلاً بكسرة الراء، فقويت الإمالة مع الراء لأنها حرف تكرير[18].

وعلة الإمالة للسبب الثاني: (ليدل أن الحرف منها ينكسر عند الإخبار نحو قولك [جِئتَ، وشِئتَ][19] فدل بالإمالة على أن الأول مكسور منها عند الإخبار، فعملت الكسرة المقدرة، فأميلت الألف لها)[1][2] .

---

[1] يوسف / 20.

[2] يوسف / 1.

[3] يوسف / 85.

[4] يوسف / 44.

[5] يوسف / 89.

[6] يوسف / 25 ، 29.

[7] يوسف / 31.

[8] يوسف / 17 ، 59.

[9] ينظر: المصدر السابق.

[10] يوسف / 23.

[11] يوسف / 85.

[12] يوسف / 39.

[13] يوسف/ 17 ، 59.

[14] هود / 107.

[15] يوسف/5.

[16] يوسف/ 25.

[17] يوسف / 29.

[18] الإقناع 1/272-276 ، الكشف 170/1 ، 172 ، 185 ، 186.

[19] الكهف 77 وطه/40.

وعلة حصول الإمالة للسبب الثالث هو: (لتقريبها من أصلها، أي أن أصل الألف ياء وأمالوا الراء لإمالة الهمزة، وللألف بعدها، ولم تتمكن إمالة الألف إلى الياء إلاّ بإمالة فتحة الهمزة التي قبلها إلى الكسرة ثم أمالوا الراء لما وقع بعدها من الإمالة، ليعمل اللسان عملاً واحداً في الثلاثة أحرف)[3].

أما إمالة أحرف الهجاء في فواتح السور كيونس عليه السلام وهود عليه السلام ويوسف عليه السلام وغيرها من السور الكريمة فعلَّة إمالتها (أن الألف التي في هجاء [راء] في تقدير ما أصله الياء، لأنها أسماء ما يكتب به، ففرق بينهما وبين الحروف لا تجوز إمالتها نحو: [ما، لا، إلاّ] وهذا مذهب سيبويه في إجازة هذه الحروف التي في أوائل السور، فإن سميت بشيء من هذه الحروف جازت الإمالة)[4].

أما ظاهرة الروم والإشمام: فيعرض الروم والإشمام للحركات عند الوقف. قال سيبويه: فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم الحركة التحريك، وبالتضعيف[5].

وقد فصّلَ الداني ذلك تفصيلاً في قوله: "اعلموا أن الأصل أن يوقف على الكلم المتحركة في الوصل، إذا كانت حركاتهن إعراباً وبناء، وبالسكون، لأن الوقف ضد الوصل، لأن معنى الوقف أن يوقف عن الحركة أي تترك، كما يقال وقفت عن كلامك، أي تركته.

واختار عامة شيوخنا ورؤساء أئمتنا في مذهب الجماعة الوقف على ذلك لما فيها من الدلالة على كيفية الحركة في الوصل، طلباً للبيان. والإشارة إلى ضربين، تكون روماً وتكون إشماما.

والروم أتم من الإشمام، لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، فيسمع لها صوت خفي يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه، ويستعمل في الحركات الثلاث. إلاّ أن عادة القراء أن لا يرووا المنصوب ولا المفتوح لخفتهما وسرعة ظهورهما إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما، فيبدو الإشباع لذلك.

---

(1) الكتاب 34/2 ، إيضاح الوقف والابتداء / 479 ، الكشف 186/1-187-188 ، التبصرة / 218.

(3) الكشف / 186 . 188 , التبصرة / 218

(3) الكهف / 77 ، وطه / 40.

(4) الكتاب 34/2 ، إيضاح الوقف والابتداء / 479 ، الكشف 186/1-187-188 ، التبصرة / 218.

(5) الكتاب 168/4.

وأما الإشمام فلرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالشفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف، فلا يقرع السمع، ولذلك لا يعرفه إلاّ البصير، ويستعمل فيما يعالج بالشفتين من الحركات، وهو الرفع والضم لا غير"[1].

وقد لخص المرعشي موانع الإشمام والروم في الحركات إذ: "اعلم أن الروم والإشمام لا يكونان في هاء التأنيث، ولا في ميم الجمع، ولا في الحركة العارضة في الوصل, والمراد من هاء التأنيث تاء التأنيث المبدلة هاءً في الوقف. والمراد بميم الجمع ما يوصل بواو عند بعض القراء. والحركة العارضة هي الحركة العارضة لالتقاء الساكنين، نحو: لَم يَكُنِ الّذِينَ"[2].

ومذهب النحاة أن الروم يكون في الحركات الثلاث، إلاّ أنه في المنصوب والمفتوح يحتاج إلى رياضة لخفة الفتحة وتناول اللسان لها بسرعة[3]، قال عبد الوهاب القرطبي: "وإنما كان الروم في المكسور والمضموم إعراباً كان أو بناءً دون المفتوح وإن كان الأصل استواءهما في الروم ، لأن المفتوح أخف وحركته أسرع ظهوراً ، فلو رام الرائم الإتيان ببعضها وجزئها جاء كلها وجملتها"[4].

أما الإشمام فإن جمهور النحاة والقراء لا يرون جوازه في غير المرفوع، وما نقل عن بعض القراء عن جوازه في المجرور فيحمل على الروم وقد أطلق بعض العلماء كلمة الاشمام على خلط الضمة بالكسرة في مثل (قيل وسيء) في بعض القراءات. وقد قال مكي: "وهي ترجمة على مذهب الكوفيين لأنهم يترجمون عن الإشمام الذي لا يسمع بالروم ويترجمون عن الروم الذي يسمع بالإشمام"[5] , كما أن بعض العلماء أطلق كلمة الإشمام على خلط الصاد بالزاي في مثل (الصراط)[6].

ويعلل علماء التجويد وجه انحصار الإشمام بالضمة دون الفتحة والكسرة، قال عبد الوهاب القرابي: "واختص به المرفوع والمضموم دون المكسور والمجرور والمفتوح والمنصوب لأن الضم من الشفتين، وإذا أومأ بشفته نحوه أمكن الإيماء وأدركه الرائي وإن انقطع الصوت، لأن الرائي يدرك مخرج هذه الحركة وهو الشفتان، فأمكن أن يدركها، أما في المجرور والمكسور والمنصوب والمفتوح فإنما امتنع لأن الكسر ليس من الشفة، وإنما من مخرج الياء، ومخرج الياء من شجر الفم، والنظر

---

(1) التحديد 41-42و . وانظر: مكي: الكشف 122/1 ، والقرطبي: الموضح/ 187ظ.

(2) جهد المقل/ 54ظ.

(3) أبو حيان: ارتشاف الضرب/ ص173.

(4) الموضح/ 187ظ. وانظر: المرعشي: جهد المقل/ 54و.

(5) مكي: الكشف 122/1 وانظر: الداني: التحديد 13ظ.

(6) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ، ص105-106 ، والمرعشي: جهد المقل 54 و.

لا يدرك حركته، وذلك الفتح من الألف، ولا آلة للألف يدركها النظر، لأن مخرجها من الحلق. والرائي لا يدركه ولا يدرك حركته، والصوت ينقطع دون الشروع في هذا الجزء من الحركة، فلم يبق للنظر ولا للسمع وصول إلى إدراكه فامتنع الإشمام فيه لذلك[1].

والإشمام لا يكون خاصاً بالوقف، بل قد يكون في الوصل أيضاً، قال الداني: "وأما المشم من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يوصى بالعضو، وهما الشفتان..."[2] وقال ابن الطحان: "والإشمام عبارة عن ضم الشفتين، وهو بالأوائل والأواسط والأطراف، يكون دليلاً على الضمة... فيكون صوغه بأوائل الكلم مع الشروع في كسر الحرف المشم، ويكون صوغه بأوساطها (عند)[3] سكونها الخالص في مدعماتها، ويكون صوغه بأطرافها عند سكونها الوقفي وأثر حصوله".

ويعلل علماء التجويد ظاهرة الروم والإشمام في الوقف بالدلالة على كيفية الحركة في الوصل، قال مكي: "اعلم أن الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة، كيف كانت في الوصل، وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام، لأن الروم يسمع ويرى، والإشمام يُرى ولا يسمع، فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك"[4].

ويلاحظ اليوم أن أحداً من متكلمي العربية الفصحى يحرص على روم أو إشمام في وقفه، حتى بدا ذلك أمراً غريباً على السامع، إلاّ إذا كان ذلك لدى نفر قليل من علماء القراءة المتمسكين بالرواية.

أمثلة الروم والإشمام في سورة يوسف عليه السلام:

1. قوله تعالى: (مَالَكَ لا تَأمَنّا عَلى يُوسُفَ). يوسف / 11.
2. قوله تعالى: (نُصِيبُ بِرَحمَتِنا). يوسف / 56.

أما المثال الأول فقد بيَّنّاهُ في شرحنا لظاهرة الروم والإشمام أما المثال الثاني فيجوز الروم والإشمام فيه في الحرف المُدغم مع الاختلاف في ذلك عند بعض القرّاء[5] .

---

[1] الموضح 187ظ. وانظر: ابن الباذش: الإقناع 505/1.

[2] التحديد 13ظ .

[3] ساقطة من الأصل المخطوط.

[4] الكشف 122/1. وانظر: القرطبي: الموضح 187 و.

[5] الموضح/ 187 ظ ، جهد المقل / 54 .

أما ظاهرة المد والقصر فهي ظاهرة كثيرة في القرآن الكريم، لكننا أردنا ذكرها للتعريف بمد التمكين فقط الوارد بقلة في القرآن الكريم، ومنه سورة يوسف عليه السلام, اما بقية المدود الأخرى فيمكن الرجوع إليها في كتب الدراسات الصوتية وكتب القراءات القرآنية[1].

المد لغة: المط أو الزيادة

القصر لغة: الحبس[2].

المد اصطلاحاً هو: طول زمان صوت الحرف، فليس بحرف ولا حركة، ولا سكون[3]، وأيضاً إطالة الصوت بحرف من أحرف المد الثلاثة بزمن مقدّر[4].

أما القصر فهو: ترك تلك الزيادة[5].

أسبابه: لفظي ومعنوي، أما اللفظي إما همز أو سكون[6] ، وأما المعنوي فهو لقصد المبالغة في النفي عند العرب وهو قوي عندهم ضعيف عند القرّاء. **ومد التمكين هو:** تمكين الياء الثانية من مدها حركتين مع التشديد على الياء المدغمة بمثلها[7]، وعلة هذا المد هي نفسها في المد المشدد ، لأن بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المد واللين مع الفارق في المقدار ، فليس في كلام العرب ساكن يلفظ به إلاّ وقبله متحرك ، أو مدّة على حرف مد تقوم مقام الحركة، وكذلك من أجل الخوف من التقاء الساكنين فكان المد كالحركة ، لأنه يتميز به أحدهما على الآخر[8].

ومن الأمثلة على مد التمكين قوله تعالى: (ويَقْتلونَ النَّبِيِّينَ بِغَيرِ الحَقِّ)[9].

وقوله تعالى: (وَلكِنْ كُونوا رَبانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الكِتابَ)[10].

وقوله تعالى: (أَنْتَ وَلِيّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[11].

الخاتمة

(1) النشر 1 / 313 , التبصرة / 64 , التحديد / 100 – 134 , الدراسات الصوتية عند علماء التجويد / 120

(2) مختار الصحاح / 394.

(3) شرح المقدمة الجزرية 31ظ.

(4) المنح الفكرية / 45.

(5) المصدر نفسه / 45.

(6) النشر 313/1.

(7) الإقناع 471/1–472 ، هداية المستفيد / 23 ، نظرات في علم التجويد / 87–88.

(8) الكشف 60/1 ، جمال القراء /188ظ .

(9) سورة البقرة ، الآية 61.

(10) سورة آل عمران ، 79.

(11) سورة يوسف ، الآية 101.

بعد هذه المسيرة التي صحبنا فيها سورة (يوسف) عليه السلام ودرسنا فيها جوانب صوتية مهمة، خرجت بالنتائج الآتية:

1. تناولت الدراسة ظاهرتي الفتح والإمالة والروم والإشمام لتعلق ادائهما باللغة والقرآن وفي لسان العرب، ولاختلاف اللهجات والقراءات فيها.
2. انفراد سورة يوسف (عليه السلام) بمد التمكين الوارد بقلة في القرآن الكريم والذي أردنا التعريف به لتمييزه وبيان كيفية حصوله.
3. اعتمدت هذه الدراسة الظواهر الصوتية فقط لشيوعها ولأهميتها ولكثرة استعمالها في اللسان العربي.
4. إيضاح الكيفية الحاصلة للنطق بهذه الظواهر.

فهرست الكتب المطبوعة والمخطوطة

* الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري حمد، رسالة دكتوراه، 1987، ط، مطبعة الخلود.

1- ارتشاف الضرب من لسان العربي:الاندلسي (محمد بن يوسف ت 745 هـ) تحقيق مصطفى النماس، ط1، القاهرة 1984م.

2- الإقناع في القراءات العشر:أبن الباذش ت 540 هـ تحـ. عبد المجيد قطامش، ط1، 1403هـ.

3- إيضاح الوقف والابتداء: الانباري (ابي بكر محمد بن القاسم ت 328 هـ) تحـ: محي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، 1971م.

4- بغية المستفيد في علم التجويد (ابن بلبان الحنبلي، شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبد القادر ت 1083 هـ) مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (رقم 5437/11 مجاميع).

5- التبصرة في القراءات: القيسي (مكي بن أبي طالب ت 437 هـ) حققه وعلق حواشيه د.محي الدين رمضان ،ط1 ،1985م.

6- التحديد حمد، إتقان والتجويد: الداني (أبو عمر وعثمان بن سعيد ت444هـ) تحـ: د.غانم قدوري حمد، مطبعة الخلود، ط1، بغداد، 1988م.

7- تفسير الخازن: البغدادي (علي بن محمد بن إبراهيم)، مطبعة مصطفى البابي.

8- التفسير الكبير: الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، ط2، طهران، دار الكتب العلمية.

9- جمال القراء وكمال الاقراء: السخاوي (علم الدين علي بن محمد ت163هـ) تحـ: حسين البواب, مكة المكرمة, مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم 333، 44 قراءات). 1985 م

10- جهد المقل: المرعشي: محمد بن أبي بكرت 1150هـ، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (رقم 4/11068).
11- الحجة في علل القراءات السب: الفارسي (أبي علي الحسن بن أحمد ت337هـ).
12- روح المعاني: تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: الآلوسي، إدارة المطبعة المنيرية . دار إحياء التراث العربي.
13- اضيف، في القراءات:أبن مجاهد (أحمد بن موسى ت 312 هـ)، تحـ:د.شوقي ضيف، مطبعة المعارف، ط2، 1400 هـ.
14-شرح المقدمة الجزرية:طاش كبري زاده (احمد بن مصطفى ت968هـ)، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب – جامعة بغداد، (رقم 3/621).
15-الطرازات المعلمة في شرح المقدمة:الأزهري (عبد الدائم بن علي ت870هـ)، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد، رقم (120165 هـ).
16-القاموس المحيط:الفيرزأبادي (محمد بن يعقوب 817 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1978 م.
17-الكتاب: سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان ت 180 هـ)، مطبعة بولاق، ط1، 1316 هـ.
18-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي (مكي بن أبي طالب ت 437هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط2، 1981م.
19- لسان العرب: ابن منظور (محمد بن مكرم ت711هـ)، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، د.ت.
20- مختار الصحاح: الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.
21- الموضح في التجويد: القرطبي: (عبد الوهاب بن محمد ت 462هـ)، مخطوط بمكتبة الأوقاف في الموصل (رقم 22/2).
22- الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة: الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد ت444هـ)، مخطوط في المكتبة الأزهرية (رقم 7661/103).
23- المنح الفكرية على متن الجزرية: علي بن سلطان المكي (ت1014هـ)، المطبعة المنيرية بمصر، 1322هـ.
24- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري (محمد بن محمد ت833هـ)، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
25- نظرات في علم التجويد: ألكلاك (إدريس بن عبد الحميد)، ط1، 1981م.

26- هداية المستفيد في أحكام التجويد: أبي ريمه (محمد المعمود)، مطبعة المشهد الحسيني بمصر.